بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

تمثل دراسة الأدب الإغريقى ، بما لها من جاذبية خاصة وبما توفره من متعة البحث ، الجانب الأكثر تألقا وأهمية من جوانب الحضارة الإغريقية ، فالأدب الإغريقى الذى يتميز بالثراء والحيوية الدافقة يكشف عن جوانب عديدة ، ظاهرة ، وباطنة من جوانب تلك الحضارة الدافقة التى ما تزال تجتذب العلماء ، وتبهر أنظارهم وتستفز عقولهم فى كل المجالات .

ويلفت النظر أن العديد من الدراسات التى خرجت إلى الوجود فى مجال الأدب الإغريقى اهتمت بالتفاصيل والجزئيات ، إذ انكب عدد كبير من الباحثين والعلماء على التراث الأدبى الإغريقى ، واهتم كل منهم بدراسة جزئية تتناول شاعرا بعينه ، أو مسرحية ، أو شخصية من شخصيات المسرح الإغريقى . واهتم فريق آخر بعقد المقارنات ، أو البحث فى المشابهات والاختلافات بين شاعرين .. وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسة التى تهتم بالجزئيات ، فإن الحاجة تبقى دائما تدعو إلى البحث والدراسة لتقديم صورة كلية تتناول الأدب الإغريقى فى إطار اجتماعى أو سياسى ، أو تعالج فكرة عامة ، أو عقيدة ، أو اتجاها اجتماعيا تعكسه الأعمال الأدبية الإغريقية .

ولقد ارتاد عدد من العلماء والباحثين طريق البحث عن الفكرة العامة ، أو التوجه الاجتماعى والسياسى للإغريق من خلال دراسة نصوص التراث الأدبى الإغريقى وكانت دراساتهم وما تزال ، بمثابة علامات على الطريق .

ولقد اخترت لنفسى هذا النمط من الدراسة ، إذ لفت نظرى أن هناك فكرة عامة تظهر فى كتابات العديد من العلماء والباحثين المحدثين ، لاسيما عندما يعقدون المقارنة بين كل من الحضارة المصرية القديمة والحضارة الإغريقية . هذه الفكرة العامة مؤداها أن المصريين أهملوا الحياة الدنيا ، ووجهوا اهتمامهم إلى الحياة الأخرى ، أى حياة ما بعد الموت ، على حين كان الإغريق على العكس من المصريين ، يهتمون بحياتهم الدنيوية غير مبالين بمصير الإنسان بعد الموت .

والواقع أن هذه الفكرة العامة تحمل ظلما فادحا لكل من المصريين والإغريق على السواء فمن غير المعقول ، أو المقبول القول بأن المصريين القدماء قد أهملوا شأن دنياهم ، على الرغم من الآثار المادية واللامادية الماثلة فى عالم اليوم والتى تشهد لهم بالسبق فى كثير من المجالات التى تيسر حياة الإنسان فى هذا العالم ، من زراعة وري ، وطب وفلك ، وموسيقى ورياضة ، وتنظيم سياسى وقدرة عسكرية ... . وما إلى ذلك .

كذلك فإن القول بأن الإغريق لم يبالوا بمصير الإنسان بعد الموت فيه تقليل من شأن الحضارة الإغريقية . ذلك أن السؤال المرتبط بحياة الإنسان ووجوده وما بعد هذه الحياة سؤال شغل البشر جميعا . وكلما ازداد وعى الإنسان وارتقت حضارته زاد إلحاحه فى الحصول على إجابة مناسبة لهذا السؤال .

ومن طبيعة الأمور أن يتفاوت مدى اهتمام الحضارات بعالم ما بعد الموت . لكن الأمر المؤكد أن الأدب – الذى يحمل التاريخ الوجدانى لكل شعب – يحمل ملامح الصورة التى رسمتها حضارة بعينها لعالم ما بعد الموت .

وهذا البحث الذى أتقدم به محاولة لتجسيع ملامح الصورة التى رسمها المسرح الإغريقى للعالم الأخر . وقد حاولت قدر جهدى أن أتتبع نصوص المسرحيات الإغريقية التى نجت من عوادى الزمان ، منذ البداية المبكرة ، وحتى مسرح يوريبيدس . كما حاولت فى الوقت نفسه تقصى المؤثرات الأجنبية على صورة العالم الآخر فى المسرح الإغريقى .

وقد نهجت فى هذه الدراسة نهجا موضوعيا بحيث يعالج كل فصل من فصولها موضوعا قائما بذاته داخل الإطار العام للبحث كله . وقدمت لهذه الفصول بمقدمة عرضت للخطوط العريضة لموضوع « الموت فى الفكر الإغريقى » هذه المقدمة تناقش موقف الإغريق من الموت ، وتصورهم للحياة الأخرى بعد الموت ، سواء انعكس هذا الموقف فى الشعر الملحمى ، أو فى الشعر التعليمى أو الشعر الغنائى . وكيفية تبلور هذا التصور فى المسرحيات الإغريقية .

أمـا الفصل الأول فيتناول موضوع « أهمية الدفن وطقوسه » ، وفيه تتضح الأهمية التى أضفاها الإغريق القدماء على الدفن باعتباره ضمانا لاستقرار الروح فى العالم الآخر . كذلك تناول هذا الفصل طقوس إعداد الميت للدفن ، ومظاهر الحداد التى تعارف عليها المجتمع الإغريقى ، ومدة هذا الحداد ، كما عالج هذا الفصل

مدى أهمية القبور لدى الإغريق والقداسة التى أسبغوها على القبور ، فضلا عن القرابين التى اعتادوا تقديمها للموتى ، وأنواع هذه القرابين ومناسباتها .

وفى الفصل الثانى حاولت تجميع ملامح « صورة العالم الآخر » منذ العصر الهومرى مرورا بتطور الصورة فى الشكل الذى ظهرت به فى العقيدة الأورفية/الفيثاغورثية التى تأثرت عموما بعقائد الشرق ، والعقيدة المصرية على وجه الخصوص . وقد تركزت الدراسة فى هذا الفصل على أهم الآلهة التى تصور الإغريق أنها ارتبطت بالعالم الآخر مثل زيوس وهاديس وبرسيفونى وهرميس ، والإيرينيات ، أو ربّات الانتقام ، وكيف جسدتهم جميعا نصوص المسرحيات الإغريقية .

وتناول الفصل الثالث موضوع « محاكمة الموتى وحياة ما بعد الموت » وقد بينت الدراسة فى هذا الفصل أن إيمان الإنسان بحياة ما بعد الموت إيمان قديم ، فمنذ العصر الهومرى اعتقد الإغريق أن الإنسان يتعرض بعد الموت لنوع من المحاكمة ، وتطورت هذه الفكرة بمرور الزمن فظهرت الأليوسية ، ثم الأورفية والفيثاغورثية التى أسهمت كثيرا فى إبراز ملامح التصور الإغريقى لحياة ما بعد الموت ، وأسس محاكمة الموتى فى العالم الآخر . بيد أن ما يلفت النظر حقا أن « محاكمة الموتى » فى التصور الإغريقى ظلت متوارية خلف ضبابية الغموض ، ولم يكن لها ذلك الحظ من الوضوح والتحديد الذى ميز الفكرة المصرية القديمة .

أما الفصل الرابع والأخير من هذه الدراسة ، فقد تناولت فيه موضوع « العلاقة الجدلية بين عالم الأحياء والعالم الآخر » . وقد كشف هذا الفصل عن العلاقة القوية التى أقامها العقل الإغريقى بين عالم الأحياء وعالم الموتى – إذ كان الموتى أحيانا مصدر إزعاج ورعب وتخويف للأحياء ، كما أنهم فى أحيان أخرى كانوا مصدر خير وفير ونعم لهؤلاء الأحياء بشرط أن يراعوا حرمة قبورهم ويوقروهم . ولقد تصور الإغريق أن الموتى هم الذين يتعهدون بذور زراعاتهم بالرعاية لتخرج فى شكل محصولات وفيرة ينعم بها الأحياء . وفى الموروث الأسطورى الإغريقى ، الذى انعكس بشكل أو بآخر فى نصوص المسرح ، قام عدد من الأبطال المميزين برحلات إلى العالم الآخر وعادوا منه ثانية .

أما الخاتمة التى تلت فصول الدراسة الأربعة ، فقد تضمنت أهم النتائج التى توصلت إليها الدراسة .

وتشير قائمة المصادر والمراجع إلى أننى اعتمدت بشكل أساسى على المصادر والنصوص الأصلية بشكل كامل فى تأكيد الفرضيات والأفكار التى طرحتها فى هذه الدراسة ، كما أننى استعنت بطائفة من المراجع والأبحاث التى كتبها المتخصصون والتى ساهمت فى توضيح كثير من الأفكار والآراء التى ناقشتها والله الموفق والمستعان .

د . منيرة عبد المنعم كروان

الهرم – سبتمبر ١٩٩٣

obeikandl.com